**الفكر السكاني القديم:** أرسطو **وابن خلدون**

أرسطو

اتجه أرسطو في معالجته لموضوع السكان اتجاها **أكثر واقعية من أستاذه أفلاطون.** فمن المعروف أنَّ أرسطو هو ثاني المفكرين العظماء الذين عاشوا بأثينا نظراً لإسهامات الفلسفية والفكرية لقب ب (المعلم الأول ), وتلقى العلم على يد أفلاطون.

أما في ما يخص تناوله لموضوع السكان فقد صنف أرسطو السكان على ثلاثة أسس:

1. وحدات المجتمع: الأسرة .القرية.المدينة.
2. المهن: ويقسمها إلى طبيعية وغير طبيعية,الأولى هي الصيد والزراعة, الثانية هي الصناعة والتجارة.
3. العمر والجنس: بفرق ما بين الرجال والنساء بناء على الاستعدادات الجسمانية والعقلية واشترط أنْ يكون مواطنو الدولة جميعهم من الإغريق, يجمعون بين حيوية الشعوب الشمالية و الشعوب الجنوبية.

وعلى الرغم من أن أرسطو كان تلميذاً لأفلاطون لم يحد الحجم الأمثل للسكان على عكس أفلاطون وأكد أرسطو أن الدولة العظمى ليست هي الدولة كبيرة الحجم ورأى من الضرورة تدخل الدولة بأساليب متنوعة لتحقيق التناسب بين حجم السكان وبين مواردهم وخاصة مساحة الأرض و قدرتها على استيعاب حجم السكان ولتحقيق ذلك نرى أنَّ أرسطو يوافق على الإجهاض من اجل الحد من زيادة السكان والتخلص من المواليد المشوهة بعد الولادة. وعارض أرسطو فكرة المعسكرات التي كان يدعو إليها أفلاطون فأرسطو يشجع على المجتمع المفتوح حيث يقول«حيث يكون كل الناس إخوة كل هذا يعني انه ليس كل آخ حقيقي, ولا ينصح بالاشتراك النساء في الأطفال يكون فيها الحب مائع, فمن الصعب أنْ يشترك الناس في كل شيء » من جهة أخرى يعتبر أرسطو من رواد المفكرين الذين اهتموا بقضية تحديد حجم السكان, مؤيداً سياسة تحديد النسل وكذلك تحديد عدد السكان بالنسبة لأرسطو يجنب الفقر ثم يرى كذلك أنَّ تبرير عملية الإجهاض (يكون داخل البطن قبل أنْ يلمس الجنين الحياة) عملية ضرورية للحفاظ على الحد الأنسب من السكان وبشكل يوازي إمكانيات وقدرات الدولة وخيرات وموارد ثم يركز على العمر المفترض الذي يقود الاتحادات الزوجية وكذاك تحديد سن الإنجاب و ظروف الأمهات الصحية ثم يوصي بنظام صحي للأمهات الحوامل مع ممارسة الرياضة ونوعية الغداء .أما السن المناسب الإنجاب للرجال يصل إلى 70سنة و50سنة للنساء ولا يوصي بالزواج المبكر لان ذلك يضر بالثمرات أو الأطفال ويضر كذلك في الاعتدال في الحواس, والسن المناسب للزواج بالنسبة للنساء 18سنة و37سنة بالنسبة للرجال,.ويشير كذاك إلى أنَّ الزواج المبكر يؤدي إلى أمراض عصبية شديدة حيث يقول «الأجنة في الأرحام تتأثر بما تتأثر به الأمهات,كما تتأثر التمرات بالتربة التي تغذيها» يوصي الأمهات بالالتزام بنظام صحي في فترة الحمل وكذلك تجنب الكسل عن طريق الذهب إلى العمل يوميا إذن فأرسطو يناقش تفاصيل كثيرة تتعلق بالتنظيم الأسري.

ابن خلدون

ولد بتونس كان مؤرخاً رجل دولة عالم فيلسوف جغرافي, (كان موسوعياً) صاحب الكتاب (العمران البشري) ويتحدث فيه عن القضايا السكانية والاقتصادية وركز بشكل كبير على أهمية العنصر البشري السكاني واعتبره من المقدمات الأساسية لازدهار الأمم و نهضتها الاقتصادية والاجتماعية ثم أنَّ ازدهار العلوم والصناعات وتوفير الخيرات المادية والثقافية مرتبطة بالعنصر السكاني وكثافته. ويقول في ذلك: (إنَّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من الغذاء، ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه، وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلاّ بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين والآلات لا تتم إلاَّ بصناعات متعددة، وهب أنه يأكله حباً من غير علاج، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه، من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من السنبل، فلابد من اجتماع القدرة الكثيرة من أبناء جنسه، ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف).

وما أثاره ابن خلدون من مثل يتعلق بالزراعة، يمكن تطبيقه اليوم على سائر الصناعات الثقيلة والخفيفة، وكذلك الخدمات التي تؤديها الشركات الكبيرة والمؤسسات العامة، مما يؤكد عمق أفكاره ودقة انطباقها على الواقع العملي، وتأكيد أثر زيادة السكان في تحقيق التنمية الاقتصادية والرفاهية.

يذهب إلى أنَّ المجتمعات تمر خلال مراحل تطورية محددة تؤثر على عدد المواليد والوفيات في كل مرحلة إذْ يشهد المجتمع في **المرحلة الأولى** من تطوره زيادة معدلات المواليد ونقص في معدلات الوفيات، بما يؤثر على نمو السكان ويزيد عددهم. قد ذكر في مقدمته المشهورة ( أنَّ الترف يزيد الدولة في أولها قوة إلى قوتها، والسبب في ذلك أن الناس إذا حصل لهم الملك والترف، كثر التناسل والولد). ويقرر ابن خلدون أن زيادة السكان تؤدي إلى تقسيم العمل، فيزيد الإنتاج ويزيد الدخل، ومن ثم يزيد الطلب على السلع فتنشأ صناعات جديدة، وتحصل زيادات أخرى للدخل، وهكذا).

وعندما ينتقل المجتمع إلى **المرحلة الأخيرة** من تطوره، يشهد ظروفاً ديموجرافية مخالفة تماماً، حيث ينخفض فيها معدل الخصوبة والمواليد، ويرتفع معدل الوفيات.

ويعتقد بأنَّ الخصوبة العالية في المرحلة الأولى من تطور المجتمع ترجع إلى نشاط السكان وثقتهم ومقدرتهم أما في المرحلة الأخيرة من تطور المجتمع فتظهر المجاعات والأوبئة والثورات والاضطرابات مما يقلل نشاط السكان ويقلل من نسلهم. ويرجع ابن خلدون السبب في نقص الغذاء، وانتشار المجاعات إلى الترف والفساد والانحطاط السياسي والأخلاقي، وليس لزيادة السكان كما أدعى مالتوس الذي سيأتي ذكره لاحقاً، ولو كان الأمر كما زعم، لمات الآلاف من أبناء الصين والهند، ولما استطاعت الولايات المتحدة أنْ تحقق وفرة غذائية تفوق الحاجة الغذائية بأضعاف كثيرة.

**تعقيب**

1- أنَّ الفكر الإنساني القديم كما تجلى في كتابات كونفوشيوس وأفلاطون وأرسطو وباستثناء ابن خلدون، كان يتميز بعنايته أساساً بالعلاقة بين حجم السكان وأهداف الدولة أو المجتمع أو بالقيم المرغوب فيها داخل هذه الدولة.

2- أنَّ الفكر السكاني كما اتضح في كتابات أفلاطون وأرسطو على وجه الخصوص، كان اهتماماً غير مقصود في ذاته وإنما يدخل ضمن تخطيطهما الأمثل للصورة التي رسماها للمدينة اليونانية الفاضلة وتمثل جزءاً من تأملاتهما التي انطبعت بطابع مثالي يصور ما ينبغي أنْ يكون.

3- أنَّ الفكر السكاني القديم كما أفصحت عنه كتابات كونفوشيوس وأفلاطون وأرسطو وابن خلدون، لم يعتمد على البيانات السكانية التي تستند إلى الدراسات الإحصائية، ولم يستعن بالمؤشرات ولا بالملاحظات الإمبيريقية التي توفرها البحوث الميدانية، بقدر ما كان يعتمد على الأفكار الفلسفية أو التصورات الميتافيزيقية.